

حديث التقريب بعنوان : ائتلاف القلوب في ساحة رب العالمين



حديث التقريب : ائتلاف القلوب في ساحة رب العالمين

حلّ علينا شهر رجب الأصبّ، وهو من الأشهر الحُرُم التي لها في المنظومة الإسلامية التربوية مكانة خاصة.

إنه شهر عبادة وتهجّد وصيام لبعض أيامه، وهو شهر يزيد فيه عباد الله الصالحون من تضرعهم وارتباطهم بربّ العالمين.

في مثل هذه الأجواء الروحيّة يرتفع فيه العارفون بحقّ هذا الشهر في رؤاهم وآمالهم إلى مستوى تذوب فيه الصغائر، وتسمو فيه النفوس، وتتآلف القلوب، وتنشدّ إلى مصدر العزّة والمَنَدّة والقوّة.. إلى ربّ العالمين.

كثيراً ما يدور الحديث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية وعن وحدة الأمة الإسلامية في إطار أصول المذاهب وفروعها وكلامها وفقها، وقلّما يهتمّ التقريبيون بالجانب الروحي والتهذيب المعنوي

والتطهير النفسي، وبدور هذا الجانب في ائتلاف القلوب ونزع الأغلال من الصدور.

لقد اهتم علماء السلف بهذا الجانب أيّما اهتمام استناداً إلى ما آمنوا به من ضرورة البناء الداخلي للإنسان قبل كل شيء. واستناداً إلى قوله سبحانه. "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا" مَا بِأَنْفُسِهِمْ"، وانطلاقاً من قول رسول الله(ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ومن المهم أن نعرف أن أحاديث أهل السنة والشيعة في الجانب الأخلاقي متفقة تماماً. أي إن الاتفاق بين الفريقين يبلغ مائة في المائة في أهم ساحة من ساحات المنظومة الإسلامية.

ولذلك تجد ما في كتاب «المحجة البيضاء» للعلامة محسن الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)، وهو من الكتب الأخلاقية المهمة في مدرسة أهل البيت(ع) يتضمن المأثور في الأخلاق، والمطبوع في 8 مجلات يتطابق إلى حد كبير مع ما ورد في «إحياء علوم الدين» للغزالي (في القرن الخامس)، وهو أيضاً من أهم كتب الأخلاق لدى أهل السنة.

في ساحة تهذيب النفس وتقويم السلوك، والانشداد بالـ لا يوجد اختلاف مذهبي. وهي الساحة التي يجب أن يقوم عليها التقريب بين المذاهب الإسلامية. ففي هذه الساحة تذوب الأنانيات والطائفيات والأهواء النفسية في رحاب ربّ العالمين.

كثيراً من الخلافات والنزاعات الطائفية وراءها عُقُود نفسية وأمراض اجتماعية وإن تظاهرت بأنها تدافع عن هذا المذهب أو ذاك، فلو كانت النفوس مهذبة، وكانت الأهداف رسالية إلهية لما حدث نزاع، حتى مع وجود الاختلاف. فاختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية كما يقال.

إنه شهر رجب، شهر الرحمة والبركة والمناسبات التاريخية العظيمة. شهر التقريب بين القلوب، وتنقية الأجواء من الحسد والبغضاء والذاتية والأنانية والطائفية والعنصرية. شهر ندعو فيه بعد كل فريضة: «يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر، يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه، تحننا منه ورحمة، أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا والآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت وزدني من فضلك يا كريم.. يا ذا الجلال والاكرام، يا ذا النعماء والجود. يا ذا المن والطول حرّم شيبتي على النار بمحمد وآله الأطهار».

وفي مقاطع هذا الدعاء يعيش الإنسان أجواء العطاء الإلهي الكبير على الإنسان، حتى بحق من لم يعرفه
ومن لم يسأله!!

ويستلهم من هذا الأجواء ما يعينه على أن يتعالى على الصغائر والضغائن، وأن يرتبط بأخيه الإنسان،
فهو إما أن يكون أخا له في الدين أو شبيها له في الخلق كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وبعد فإنما التضرع إلى الله أولاً أن يؤلف بين قلوب المسلمين ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مَالِي فِي الْأَرْضِ
جَمِيعاً مَّا أَلَسْتُ بِإِيْنٍ قُلُوبِهِمْ وَلَئِن لَّا يَنزِلْ عَلَيْنَا لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ .

الدكتور حميد شهياري

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية